قضايا نقدية في شعر طرفة بن العبد

الأستاذ الدكتور
حاكم حبيب الكريطي
الباحثة
زهراء نهاد العيساوي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة

اثر الأدب الجاهلي في الأدب العربي في العصور الاحقه وتميز بطابعه التاريخي ،وشعره كان متجاوبا ومتفاعلا مع الظروف المحيطة به ،فصار كالبؤرة التي أنصهر فيها الشعر اجمع ومثل نتاج العقل الواعي ، وراح شعراء هذا العصر في قصائدهم يمثلون حياتهم ويصورونها في شعرهم صوراً حية تنبض بالحياة فقد أتيح للشعراء العرب قبل الاسلام قدرا من المعرفة والثقافة وظفوها في أشعارهم وربطوا معها تأملاتهم وتجاربهم في الحياة فقد تركت بيئتهم ألبدوية بصمتها وأثارها في شعرهم فجاء صادقا ينساب برقة وإحساس يحمل معاني سامية وفكرا معبرا وأمثالا تعكس واقع الحال وله من الجودة والصدق الفني ماخلده على مدى التاريخ فصار مسيرا ودربا لما تلاه وتجاوز حدود عصرهم إلى العصور التالية وللأهمية التي تميز بها هذا الشعر في ذاك العصر اتجه له النقاد بنقدهم وبصيرتهم محاولين فك رموز الإبداع وبيان مواطن الامتياز الذي تفرد به هذا الفن الراقي وتقديمه سهلا للدارسين والتعريف بأصحابه وكان طرفة بن العبد احدهم

فقد كان من الحاصلين على المراتب الأولى بإجماع العلماء لما امتاز به شعره من سمات وخصائص سنذكرها في مواضعها من هذا البحث ومما يزيد

من حيوية هذا الشاعر ما تضيفه روحه الشابة من اضطرام في دفقاتها سواء كان في ساعات لهوهِ وسرورهِ وبشرهِ أو في لحظة انقباضه وحسرته وحزنه فهي تخرج من نطاق التجربة إلى نطاق التفلسف وبسط النظرة الشاملة، وربما كانت تلك الخاصية هي ابرز ما يميز شعره موضوعا ،فهو يحمل تجربته الخاصة مدلولاً فلسفيا شاملا يخرج من نطاق النظرة الضيقة إلى محاولة إدراك لحقيقة الحياة، وحقيقة المصير.

حياة طرفة بن العبد وعصره

مثل عصر ما قبل الإسلام مرحلة مهمة في الأدب العربي. وكان أكثر ما عرفناه عن حياة ذلك العصر مصدرهُ الشعر الجاهلي، لأنه نتاج فكري عاطفي عبر فيه صاحبه عن مشاعره الرقيقة وعواطفه العميقة، فهو تعبير لفظي مثير للفكر، ثم أن الشعر الجاهلي عكس العلاقة الجدلية بين الإنسان ووجوده والذي تمثل في المجتمع بزمانه ومكانه، كذلك في تأمله للوجود، وقبول ذاته لواقع الحال أو رفضها وتمردها واغترابها.

فلقد أحسن الشاعر الجاهلي في تصوير تجاربه وأجاد في التعبير عنها بأسلوب أدبي فني بلغ حد النضج والكمال، حتى انه تجاوز الحدود العربية إلى البلاد الأجنبية لتقرأه الأمم الأخرى فلمسوا فيه مواطن الجمال والإبداع وتُرجم إلى عدة لغات للافادة من القيمة الفنية التي يحتويها هذا الشعر فكان مرآة صادقة لطبيعة البلاد وأحوال المجتمع وحياة الناس فالصحراء العربية بصفائها واتساع افقها وطبيعتها الصامتة كانت هي داعية الفطرة والتأمل الواعي والتفاعل معها بهدوء وبصيرة.

إذن فهذا الصفاء الفطري الأصيل ابعد الإنسان العربي الجاهلي عن التعقيد، فشاعت في شعره روح الفطرة بحريتها وأنفتها وبما تحويه من صدق في ذكر الحقيقة.

وهكذا اثر العصر الجاهلي في مجرى الأدب العربي تأثيراً ما بلغه عصر آخر، فكان أشبه بالبؤرة التي انصهر فيها الأدب العربي وطرفه بن العبد البكري كان احد شعراء ذلك العصر، الذين عبروا عن الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية بصورة صادقة وما وصل ألينا من شعره كان غاية في الإتقان وزناً وقافية ومعنى، وغاية في التفنن. فقد واجه واقعه وتأثر به واثر فيه.

و(طَرَفة) بفتح الطاء والراء، هو طرفة بن عبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، واسمه الحقيقي عمرو، ولقب طرفة ببيت قاله[1]

لا تعجل بالبكاء اليوم مطرفاً ولا أمير كما بالدار إذ وقفا[2])

يَتِمَ طرفة من أبيه صغيراَ فأبى أعمامه من بني سعد بن مالك أن يقسموا له نصيبه من إرث أبيه وظلموا حقهُ فنشأ مع أمه في بؤس، وأحس منذ نعومة أظفاره بالظلم، وبدأت شاعريته تتحرك على نغم هذا الإيقاع الحزين، فعاش صراعاً نفسياً منذ صغره لما عاناه من ظلم وسوء معاملة من أهله وعشيرته الذين توقع منهم أن يكونوا له عونا.. رفض طرفة هذا الظلم، لما مطر عليه من عزة وإباء وذكاء، وهذا ما جعله أكثر حده في الطباع، فعانى في أعماقه صراعاً عنيفاً، ظهر واضحاً في شعره حذر فيه قومه تبعة الظلم فا حبطت رغباته ولم يستطع أن يفعل شيئاً أمام هذا الإحباط الذي استتبعه فقرر غلق أمامه أبواب الحياة الكريمة ورحيله عن دياره، وغربة عاشها محروماً من الأهل فادى كل ذلك اندفاعه إلى بحار اللذة محاولا نسيان همومه.

فعلى الصعيد الفكري لنا أن نتأمل طبيعة سيرة الشاعر وعلاقته مع قبيلته وموقفه الفردي من تلك العلاقة لنلقي الضوء على المفردات الفكرية للنصوص التي انبثقت في إطار تلك العلاقة والمواقف الناشئة عنها.

أما حادثة مقتله فقد لحقها من الخلاف والاضطراب والتفاوت ما بدت معه اقرب إلى نتاج الخيال القصصي منها إلى الواقع التاريخي فقد ذكر انه ورد مع خاله المتلمس على عمرو بن هند وكانا ينادمانه، ثم هجا طرفة عمرو بن هند وأخاه قابوس بأبيات يبدو انه لم يذكرها بين الناس إلا أنها وصلت لعمرو بن هند فحنق على طرفة ولكنه كتم حنقه، وأوهم طرفة وخاله المتلمس انه كتب لكل منهما كتاباً إلى عامله على البحرين ليجيزهما فمضيا بكتابيهما فلما كانا بظاهر الحيرة أقرأ المتلمس غلاما كتابه فأخبره أن فيه امرأ بقتله فالقي بالكتاب في الفرات ونصح طرفة بان يحذو حذوه فأبى وقال: ما كان عمرو ليجترئ علي، ومضى بكتابه، فلما بلغ البحرين (وكان عامل عمرو عليها بكرياً) كره العامل أن يقتل طرفة وأبلغ عمرو بن هند بذلك فأبدله بعامل تغلبي يقال له عبد هند بن جرذ وأمره بقتله[٣] وتتشعب التفاصيل وتتباين، فقد ذكر في سبب ورود طرفة والمتلمس على عمرو بن هند أنهما جاءا متعرضين لمعروفه[٤] في حين روى آخرون القصة وكان طرفة والمتلمس كانا يعيشان في بلاط عمرو بن هند أو في الحيرة في اقل تقدير، واختلفوا في حادثة إفشاء عبد عمر أبيات هجاء طرفة لعمرو بن هند في رحلة صيد[٥] كما أن بعض الروايات ذكرت أن غضب عمرو كان سببا من وقوف طرفة مع خصم لعمرو يقال له عمر بن إمامة[٦]، وذهبت روايات أخرى إلى أن السبب كان اكتشاف عمرو بن هند أن طرفة كان على علاقة بأخته[٧].

أما عامل عمرو بن هند على البحرين فاسمه (المكحبر)[٨] في رواية و(ربيعة بن الحارث)[٩] في رواية أخرى، و (الربيع بن حوثرة)[١٠] في رواية ثالثة، ثم تختلف الروايات فيقرر بعضها أن عامل البحرين نفذ أمر ابن هند حالا فقتل طرفة[١١]، ويذهب بعضها إلى أن العامل تردد وعرض على طرفة أن يهرب من القتل، فأبى معتقداً انه استكثر جائزته فكتب العامل إلى عمرو يعتذر عن قتل طرفة، فأرسل عمرو عاملاً تغلبيا قتل طرفة، وقيل قتل طرفة

والعامل البكري معاً[١٢].أن هذا التناقض الحاد بين الروايات يؤكد ما ذهبنا إليه من الشك في التفصيل وطبيعة توجهها، فابن سلام مثلاً وضع طرفة على رأس الطبقة الرابعة من طبقاته الجاهلية العشر، إلا انه لا يشير إلى حادثة مقتله من قريب ولا من بعيد، وهذا لا يخلو من دلالة على الشك في تفاصيل تلك الحادثة .

إلا أن في ديوان طرفة وفي شعر المتلمس نصوصاً تشير إلى أحداث القصة مما يحمل على القناعة بصدقها جملة ولا تفصيلاً، والذي يعنينا من كل ما سبق لا يتعلق بتفاصيلها كاملة بل هو طبيعة رحلة طرفة مع ما رافقها من أهداف ونتائج ومن ثم مدى الدلالة التي تركها على البواعث الفردية والاجتماعية لديه.

أما بخصوص نظرة القدامى إليه فقد عده معظمهم من الشعراء الفحول، وربما أول ما لفت النظر قبل التعرض إلى رأي القدماء في شعره هو ما قالته أخته الخرنق بعد أن رثته بقولها:

عددنا له ستاً وعشرين حجة فلما توفاها استوى سيداً ضخماا

وقولها سيداً ضخماً يسوغ ما له من منزلته أدبية في عصره فقالوا عنه انه اشعر الناس بعد امرئ ألقيس ألا انه كان صغير السن ولو طال عمره لطال شعره فهو أقل الشعراء عمراً فيقال له (ابن العشرين) و (الغلام القتيل).

كما قاس النقاد جودة شعره في حال الأمن والرفاهية كما فعل الجاحظ، والكثير من الآراء التي سنذكرها لاحقاً وقد أبقت أثراً حسنا له.

فهي تروي منزلة طرفة الشعرية التي أحرزها بين الشعراء فعد من متقدمي الفحول وأسبقهم إلى الإجادة في معظم إبداعه الفني كما في ابتكاره المعاني، وقيمة شعره التاريخية التي لا يستهان بها.

فيمكننا القول على صعيد الفن: أن رسوم القصيدة الجاهلية وجدت طرقها بشكل تلقائي إلى نتاجه الشعري الذي احتل موضعاً بين أشعار العرب فمثلت إشعاره البنية المثلى للقصيدة العربية التي احتوت على عدة موضوعات وهذا ما ظهر في معلقته التي تظهر براعتها في تشكيل التفاصيل الداخلية لكل مقطع من مقاطعها.

ويظهر أن الباحثين والرواة وجدوا في طرفة شخصية جذابة لحداثة سنه ولما وقع له مع عمرو بن هند بشان مقتله، كما نال أعجاب النقاد والمستشرقين بشخصيته وشعره، فشعره صورة واضحة لحياته كل الوضوح بما فيها من مطامع وآلام وأحداث، فعمدوا إلى توثيق ديوانه، وجمعه العلماء في عصر التدوين في البصرة والكوفة وشرحه الأعلم الشنتمري، كما أن الأصمعي روى له عدة قصائد وروى غيرها أبو عبيدة وغيرهما حتى جمع ديوانه للشرح، وكان أول من نشره المستشرق وليم بن ورد (Awardt) في لندن سنة ١٨٧٠، العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين، ثم نشره الأب لويس شيخو في مجموعة (شعراء النصرانية) سنة ١٨٩٠، وسنة ١٩٠٠ جمع شعره المستشرق سلغستون فنشر له ديوانه مع شرح الشنتمري وهو الذي اعتمدناه في بحثنا هذا، وترجمه إلى الفرنسية مع مقدمة تاريخية، وتعليق مفيد في الحواشي، كما ترجم إلى اللاتينية بقلم فندنهوف واحتوى ديوانه عدة موضوعات أهمها الغزل واللهو والهجاء والفخر والحكم وسنأتي على تفاصيل ذلك[١٣].

وآخر القول هو لأحد النقاد المحدثين يصف طرفة بن العبد بقوله:

((هو السالك المكتشف لروائع الوجود المتمتع بألوان المعيشة العنيفة المنطلق إلى مجاهل الإحساس البكر في لقاء كل ما هو صاخب الوجود رائع المثال))[١٤]

لقد بلغ طرفة درجة من الحرية لنبذ العرف وتحدي التقاليد والاستهتار بمقامات الرجال وان كانوا ملوكاً.. فقد ولد والشعر يجري بدمه من أصلاب

أمه وأبيه.. فالتمرد الذي رافقه منذ الطفولة ونبذه المال والجاه جعله فقيرا بين قومه، وكان اعتزازه بكرامته احد أسباب قتله غدراً، فكل ما رافق حياة هذا الشاعر الشاب من البكورة في اليتم والتمرد والفقر فجرا فيه الفروسية وحب الشعر حتى بلغ أفقا من المعاناة قل وجودها لدى أمثاله في ذلك الزمن(١٥).

جدلية التمرد والاغتراب

ان الأحداث على مختلف أنواعها سواء كانت نابعة من محيط الأسرة أو المجتمع أو البيئة بمختلف أشكالها الثقافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية لها دور كبير في تشكيل شخصية الإنسان وصهرها في بوتقة واحدة تحوي العديد من الألغاز والأحاجي المكدسة في دهاليز النفس الإنسانية المظلمة، ولعل القول أو السلوك المضطرب يشير إلى هذه التراكمات التي أسقطت والشاعر مرهون بهذه الأحداث والظروف بسلوكه وكتاباته فمكنونات الأديب هي التي تشكل إبداعه والمتتبع سيرة طرفة بن العبد وشعره يجد الكثير من المناقضات والجدليات التي تحتاج للوقوف عليها للكشف عن هذه النفس الإنسانية الغريبة، ومعرفة الأحداث التي شكلت هذه النفس الجدلية التي تجمع بين قهر الموت ولذة الوجود وبين رفض القبيلة وتصعيد الذات، فتحاول ان تحول الاضطهاد القبلي إلى انتماء عرفي والى نفس مفعمة بالحكمة، فالناظر لمعلقته يرى إنسان ذا شخصية عاتية، يرى الدنيا على حداثته بعين الحكيم المجرب.

لقد عبر طرفة عن تفرده وبروز ذاته في لمحات فكرية بثها في موضوعات شعره قرر من خلالها نمط ذاتي فريد من نوعه، فمن ابرز معطيات التعبير عن ذاته المتفردة تصوير وجوده الفردي وتضخم (الأنا) لديه بغض النظر عن وجوده الاجتماعي المفترض.

ويقول احد النقاد ان التمرد والعبث لدى طرفة لم يكن ((مجرد نزعة دفعته إليها ((انا)) متضخمة فحسب وإنما دفعه لذلك تأمل لطبيعة الوجود والحياة، ويظهر ان قلق الشاعر إزاء الموت وتأمله إياه قد دفعه إلى موقفه... وليس غريبا على طرفة ابن العبد ان يتأمل الموت، وهو في حساسية شاعر، فلقد ولد طرفة يتيما، أي انه فجع بفاجعة الموت، وهو حدث فساء ظنه بحكمة الحياة والموت، وان فكرة الموت ولجت إلى ضميره بعقدة العدم والعبث واللاجدوى))[١٦].

إذن كان إحساس طرفة بالأنا الإنسانية ممتزج برغبة في التمرد على القوالب الاجتماعية والفكرية التي كانت سائدة.

فكان تمرده منذ الطفولة والشباب، قد جعله يتيم الحب والتقدير لدى أبيه. واحتقاره للمال والثروة، جعله فقيراً طريداً من قومه. واعتزازه بكرامته فصل بينه وبين حياة القصر النعماني، ومهد لقتله غدراً، فأبكر في اليتم وأبكر في التمرد، فتفجرت فيه فروسية الشعر وهو دون العشرين. وتصاعدت هذه الفروسية إلى أفق معاناة شمولية تلقاء الوجود قل مثيلها لدى أمثاله[١٧].

ومما يبدو ((ان عشيرته قد تضافرت -بعد ان شب- على ظلمه، فأحس لهذا الظلم غضاضة وألما شديداً، صوره بأنه مرير، قوي الوطئ على النفس، لان الإنسان يلتمس من ذوي قرابته العون والمساعدة، لان ان يظلموه))[١٨]

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند[١٩]

((وهو يتمسك بالتقاليد الجاهلية على إنها بناء أمجاد، ولكنه يتنكر لها على أنها جمود فكري وقيد حضاري. ولهذا نهض في وجه العرف والرأي السائد، ومذهبه في ذلك ان العقل يفسر التقاليد ويطورها، ويتناول العقائد ويتخللها؛ وفي الوجود ظاهرات طبيعية لاشك في حقيقتها، فعلى الإنسان ان يعتمدها في تفهمه للطبيعة ولما وراء الطبيعة. ومما لاشك فيه ان في هذا الموقف جرأة

شديدة. وكان طرفة مفطوراً على الجرأة الصريحة، وقد تجلت لأعمامه الظالمين عندما كان طفلا فقال لهم:

ما تنظرون بحق وردة فيكم صغر البنون ورهط وردة غيب
قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى تظل له الدماء تصبب
والظلم فرق بين حيِ وائل بكر تساقيها المنايا تغلب[٢٠]

وتجلت جرأته حين اخذ على المتلمس استعماله كلمة (الصيعرية) في شعره وكان المتلمس من أشهر شعراء زمانه وطرفة غلاماً يلعب وحين سمع المتلمس ينشد:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج، عليه الصيعرية، مكدم

صاح طرفة منتقداً قائلاً: ((قد استنوق الجمل)) لان الصيعرية سمة توسم بها النوق دون الجمال. فغضب خاله المتلمس وقال له: ((ويل لهذا من هذا)) أي ويل لهذا الرأس من هذا اللسان))[٢١] فظهرت جرأته في كثير من المواقف، وليس من الغريب ان تنقلب هذه الجرأة تحدياً للعرف، والمذهب.

حاول طرفة تحقيق ذاته إلا ان اختلال معادلة انتمائه لم يحقق له تلك الفرصة. ومن هنا برزت صور التمرد في عدد من نصوصه بما يحمل من معان فتحقبت حياته مدلول الاغتراب النفسي العنيف؛ فأصبحت اللذة عنده هي الغياب عن الوعي بمعاقرة الخمر تحدياً للواقع المرفوض

ألا أيها ذا أللائمي احضر الوغى وان اشهد اللذات، هل أنت مخلدي؟!
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي
فذرني اروي هامتي في حياتها ستعلم ان متنا غداً أينا الصدي[٢٢]

إذن تمرد طرفة ليس تمرداً لمجرد التمرد، وإنما هو تمرد ممنهج مبني على فهم واقعي ومتكامل وواضح للدور الذي يمكن ان يلعبه الشاعر من خلال فكره

ولغته واسلوبه وبالتالي من خلال متانة شعره ومدى تأثيره في المتلقين من أبناء العصر الذي يعيش فيه.

ولم تقف أزمات طرفة عند إدراكه حقيقة العدم، والظلم، فالفقر أثر في نفسية طرفة، فلم يكن من الأغنياء الذين يهرع الناس إليهم أو يدينون لهم بالإكبار والإجلال لغناهم وثراهم يقول:

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثدِ
فأصبحت ذا مال كثير وعادني بنون كرام سادة لمسودِ[٢٣]

ويقول عبد العزيز نبوي ان طرفة لم يقف بباب عمرو بن هند طالباً للنوال ،إلا بعد رحلة طويلة عاشها غريباً عن أهله وديارِه، متنقلا بين الأحياء والقبائل، حيث تلقى طعنة نفسية قاسية من إحدى النساء حين قالت له: أليس لك أهل تعيش بينهم؟ فرد عليها داعياً ان تذوق مرارة الغربة وألم البعد عن الأهل، ثم سألها حينئذ بعض الناس بمثل ما سألته يقول:

ولا غرو إلا جارتي وسؤالها ألا هل لنا أهل؟ سئلت كذلك
تعيرني جوب البلاد ورحلتي ألا رب دار لي سوى حر دارك

ويبدو انه قد ضاق بحياة الغربة وذلها، وهو صاحب النفس الأبية فتمنى لو عاش حياته بين أهله، وهنا كانت بؤرة الصراع في حياة الشاعر: يعيش غريباً كالميت الهالك، متمنياً ان يعيش كريما بين أهله، ولكنه لا يستطيع ان يحقق هذا التوازن؛ فأهله قد اتفقوا على ظلمه واحتقاره، وقطع

حبال الود التي يريد لها ان تقوى وتشتد:

وليس امرؤٌ أفنى الشباب مُجاوراً سوى حيه إلا كالحز هالك[٢٤]

إلا انه حاول محاولة رائعة لتحقيق التوازن في معلقته بين مشاعر الفرد ومشاعر الجماعة يقول محمد العشماوي ((فمع اعتناق طرفة لمذهب في الحياة تتمثل فيه النظرة الواقعية للوجود لم ينس أبدا إحساسه بالجماعة وواجباته

نحوها، وهو بالرغم من حاجاته النفسية الملحة، ورغبته في الاستجابة لها، والتعبير عنها فهو لم ينفصل لحظة عن قومه، بل هو دائما شاعر بانه لم يخلق لنفسه بقدر ما خلق لجماعته وقومه))[٢٥] فيقول:

إذا القوم قالوا من فتى خلت إنني ... عنيت فلم اكسل ولم أتبلد
ولست بحلال التلال مخافة ... ولكن متى يسترفد القوم ارفد
وان تبغني في حلقة القوم تلقني ... وان تلتمسني في الحوانيت تصطد
وان يلتق الحي الجميع تلاقني[٢٦] ... إلى ذروة البيت الرفيع المصمد

تكثر هنا مفردات بالتواجد والانتماء للقبيلة، على الرغم من ان القبيلة أفردته، فهل من توائم بين الرفض والإقبال هل هو خنوع طرفة للقبيلة أم انتماء من نوع خاص يريد به الدفاع عن وجوده في وطن يبغي فيه حريته وعدم تقيده؟ لعل أزمة الانتماء وتصعيد الذات عند طرفة نتجت من موقف عشيرته الرافض الذي اضطهده ولعله يريد ان يفردها ويميزها بالخصال النادرة التي حاولت قبيلته سلبه إياها، فيحاول ان يظهر حريته، واصله الكريم وشجاعته وانتمائه وقت الشدائد، ولك هذه المعاني محاولة للاسترداد ما غيبته القبيلة.

((هذا وفي قصيدة طرفة فضلا عن هذا التمازج الحي المثير بين الشعور بالذات والشعور بالجماعة، وبين الصراع النفسي الذي ولده اهتمام طرفة بالمروق والخروج عن القبيلة، ومحاولة الدفاع عن نفسه، تجد موقف إنسان يحاول ان يلائم لا بين حاجة قومه وحاجة نفسه فحسب، بل بين تحقيق أهدافه وبين حياة يهددها الموت في كل لحظة))[٢٧].

فنحن نرى ان طرفة يعد من المتميزين الذين يتوترون ما بين الرفض الصامت والتمرد المعلن ثم يندفعون إلى أفق من التفلسف.

((وتشير تفاصيل سيرة الشاعر إلى انه ظل وفيا لانتمائه حتى يوم مقتله. فقد سفر لقومه عند عمرو بن هند محاولاً ان يثنيه عما اعتزمه من الانصراف

عنه فيخفق فيهجو الملك فيبعث به إلى مضارب قومه لقتل بينهم صبراً فيستقبل الشاعر الموت واثقاً بان قومه سيستنقذونه، ولكن ظنه يخيب فيقتل ولكنه يأبى إلا ان يسجل موقفه اليائس))[٢٨] وكيف ان ((الإنسان مفطور على الشر مجبول على الرذيلة)) بقوله:

أسلمني قومي ولم يغضبوا لسؤة حلت بهم فادحة
كل خليل كنت خاللته لا ترك الله له واضحة
كلهم اروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة[٢٩]

وبهذه الآهة الحزينة يجمع طرفة بين صورتي الظلم، ظلم الأعمام في أول شوط حياته، وظلم القبيلة عند استقبال الموت من اجلها.

طرفة أذن شاعر قبيلة قبل أي شيء آخر، لديه توجه موضوعي منتمي بكل ما تعنيه كلمة انتماء فهو عاش يعطي لقبيلته إخلاصه بشعره، فحياته ((صورة نادرة من صور التأرجح بين الانتماء والتفرد وذلك ما تمخض عن نظرة عبثية إلى الوجود))[٣٠] فانتهت معانات ضياعه إلى توجه شعري متميز[٣١]، أتت به فلسفة التمرد والتي تأتت بدورها مما اكتشف طرفة من صراعات وقسر وحرمان أحاط به فعاش على أثره ممزقا للواقع المرير.

على ان هذا لا يعني ان طرفة تخلى عن قبيلته بل كان مرتبطاً بها، يقول عمر فروخ ان طرفة كان باراً بأهله رغم ما عاناه منهم إذ انه((كان يسلك في حياته مسلكاً شخصياً بعيداً عما توجبه البيئة الجاهلية، فانه لم يستطع ان يتخلص من جامع البر هذا... ومع ذلك فلم يجد طرفة من الممكن ان يخالف ما أوجبه البر لأهله، بل قال وهو يتألم في نفسه (ومن أهله وابن عمه خاصة))[٣٢]:

وقربـــت بـــالقربى، وجـــدك إنـــني متـى يـك أمـر للنكيثـة اشـهد[٣٣]
فلـو كـان مـولاي امـرأ هـو غـيره لفـرج كربـي أو لا نظرنـي غـد[٣٤]
ولكـــن مـــولاي امـــرؤ هـــو خـــانقي على الشكر والتسآل وأنا مفتدي[٣٥]

ان دواخل هذا النص لو راجعناه لكشف لنا عن نوع آخر من الاغتراب قد عانى منه طرفة وهو الاغتراب الفكري بما فيه من قسوة.

ان فنه لم يكن مغتربا عن تقاليد عصره، وكان هذا من أسباب عده من الفحول الذين مثل شعرهم العصر الجاهلي.

إلا انه يبقى متفرداً في موقفه الذي جعله يغترب بتجربته ويتفرد في طرحها وإيصالها كما انه كان نموذجاً نادراً حين انتقل بتجربته من واقعها الجماعي إلى واقعها الذاتي.

ويعقد د. كريم الوائلي مقارنة بين طرفة وامرئ القيس يستكمل فيها مفهوم العيش والتمرد والحرية فممارسة الحرية والتعبير عنها لا يعدو في جوهره ان يكون عملاً فردياً، كما ان التمرد هو الآخر يعبر عن هذه الخصوصية في إحداث الفعل وإيقاعه في الواقع[٣٦]، فان ((الإنسان الذي يعيش في مجتمع قمعي يشعر انه ميت قبل موته الطبيعي، فإذا تمرد أو ثار لا يشعر انه يفقد شيئاً، بل على العكس يشعر انه يتحرك ويحيا- ولذلك يشعر انه يربح الحياة نفسها حتى يموت))[٣٧].

ويؤكد المستشرق شارل بلا ان طرفة((يتبع فلسفة ابيقورية))[٣٨]

وهذا المذهب يتمثل أساسا في اعتبار اللغة بداية الحياة السعيدة وغايتها والقاعدة التي تنطلق منها في تحديد ما يجب اختياره وما ينبغي تجنبه[٣٩]، وقد عبر عنها الفلاسفة والأدباء والشعراء بمعنى العبث[٤٠] وهي ((تجربة اللامعنى الكامل للحياة))[٤١].

لو تأملنا بعض لوحات نسيب طرفة تجد فيها حالة اغتراب تتفرد بمعانات من نوع خاص، فهو يصور مواجهة هذه المعاناة لوحده بلا رفيق سفر يقف معه على طلل الراحلين ولا انس ينسيه وحشته:

من عائدي الليلة أم من نصيح بت نصب ففؤادي قريح[٤٢]

ويعكس كذلك اغترابه على صورة الحبيبة نفسها فحين يشبهها بالظبية يصر ان تكون تلك الظبية منفردة عن مجموعتها التي تنتمي إليها:

خذول تراعي ربابا بخميلة تناول اطراف البرير وترتدي[٤٣]

وتمتد غربة طرفة إلى مقاطع افتتاحية في شعره تظهر فيها أجواء التفرد التي أدمت نفسه فحبه تفرق والديار ليس على ما عهدها بعد ان قضى ريب الزمان وأحداثه من الموت على معالم الحياة التي كانت تعمر تلك الأرض قبل الرحيل[٤٤]:

فغيرن آيات الديار مع البلى وليس على ريب الزمان كفيل
بما قد أرى الحي الجميع بغبطة إذا الحي حي والحلول حلول[٤٥]

وقد شكل إحساسه بالغربة لوحة افتتاحية بالنسيب والأساس الموضوعي لنظم القصيدة، فقال حين طرد في غير قومه:

قفي ودعينا اليوم يا ابنة مالك وعوجي علينا من صدور جمالك
قفي ولا يكن هذا تعلة وصلنا لبين ولا ذا حظنا من نوالك
أخبرك ان الحي فرق بينهم ندى غربة ضرارة لي كذلك[٤٦]

يقول لتلك المرأه ان لا ترحل وتخلفه لوحدته لأنه كان يعاني الغربة قبل ان يحبها فهو مغترب قبل التجربة وخلالها وبعدها وتلك مأساته وذلك مصيره.

لقد تركت المرأة آثارها على أحاسيس طرفة إلا ان هناك لوحة أخرى ترك فيها طرفة آثاراً واضحة لاغترابه الذي نتج عن تمرده ألا وهي الرحلة فقد اومئت رحلته بالتفرد، فهو لا يرتاد المسالك المطروقة إنما يعمد إلى مسالك

((بعيدة من الإنس))[٤٧] موحشة وعرة وهو يذكر في صورته الظلمان[٤٨] ليشير إلى إيغاله في تلك الأرض التي لم يألفها الإنس[٤٩].

وبـــــلاد زعـــــل ظلمانهـــــا كالمخاض الجرب في اليوم الحدر
قـــد تبطنـــت وتحـــتي جســـرة تتقـــي الأرض بمثـــوم معـــر
فـــترى المـــرو إذا مـــا هجـــرت عـــن يـــديها كـــالفراش المشـــفتر
ذاك عصـــر وعـــداني إنـــني نـــابني العـــام خطـــوب غـــير ســـر
وتشـــكي الـــنفس مـــا أصـــاب بهـــا فاصـــبري انـــك مـــن قـــوم صـــبر[٥٠]

هكذا كان أحساس طرفة يرى أحيانا انه أعلى من صوت العقل والمنطق، فتلك هي ((الشخصية القوية التي تحسن وجودها على نحو قوي ومن ثم تفكر في الموت))[٥١].

ولا يفوتنا ان نعرج على ما ذهب إليه د. بطرس البستاني في تعليقه على الجانب الفني شكلاً ومضموناً بقوله:

((وكان طرفة قطعة موسيقية ائتلفت بها عناصر الحس والخيال والفكر، فانتظمت وحدة كلية على غير تكافؤ، لما للشعور من سادة وسلطان، وجاء شعره صورة عن حياته في اتحاد هذه القوى النفسية، وسيطرة الإحساس عليها جميعا. وما هذه الحماسة التي ترافق شعره، في الدفاع عن نفسه وعن آرائه، إلا وليدة إحساسه القوي لكل ما يتصوره ويفكر فيه، يندفع بإيمان ثابت، وعناد متصلب، وان كان على خطأ فيما يرمي اليه))[٥٢].

فكان ليتمه، وخلع عشيرته، وخيانة أقربائه له ((اثر في نفسه الفنية فأبت ان تصبر على الضيم في أنفتها وشدة إحساسها، فتفجرت منها ينابيع الشعر ثائرة على الظلم ساخطة على الأقرباء، مستهينة بالموت والحياة، وليس للشاعر غير

فنه يسكن به آلامه، ويبث شكايته، ويرد عن نفسه))[٥٣] فما شعره إلا صورة لحياته المتمردة.

هذا الرأي قد لامس حقيقة ما ذهبنا إليه في معالجة الأثر الذي تركته الحياة في نفسية طرفة وكيف انعكست في شعره وسلوكه، فكل ما فهمه من الحياة التي عاشها يتناقض مع مكنونات نفسه.

لقد استطاع طرفة ان يقيم مذهباً وجودياً، من خلال تعبيره عن حياته، ومن معايشة أفكاره، بصورة متأججة للنزوع إلى الحرية، وتحقيق ذاته بكل انفعالاتها وتحدياتها لعالمه الخارجي.

موقفه من الحياة والموت

يعكس شعر طرفة أفكاره وخواطره بالحياة والموت، وتبرز فيه الدعوة لقطف ثمار اللذة قبل فوات العمر، ولديه علاقة طويلة الأمد بين الحياة والزمن والموت، ((فالحياة لدى طرفة تمثل كنزاً، ويمثل الكنز قيمة كبرى تعتريها حوادث الزمان بالنقصان، وكلما مر يوم فقد الكنز قسما منه حتى يفنى، ولذا فان حركة الزمن تعبث بالحياة، وتحيلها إلى فناء، وهذا الإحساس بالضياع والفقدان الذي يفعله الزمن يدفع إلى استغلال الكنز قبل ان يفنى من أيدي الناس آذ ليس الزمن إلا طريقا تقود إلى الموت، فالقلق إزاء الموت وخوفه من نهايته المحتومة دفعته إلى اللهو والعبث))[٥٤] يقول احد النقاد ان أسى الشاعر ((ميتا فيزيقي فلسفي... فليس ثمة شيء ذا قيمة ما دام الموت بحبله، وقد ترددت فكرة الموت في معلقته جميعاً حتى يخيل إلينا انه كان يتراءى له ابداً في قعر الكأس، وانه لم يكن يدمن على شرب الخمرة إلا للتهرب من مواجهة العدم))[٥٥].

ان الموقف الوجودي لشاعرنا، يبرز عنيفا في تحديه الموت والفناء باقتناص لذة الحياة خوفا من ضياعها ويأساً من دوامها فكل جاهلي كان يرى الموت

نهاية الموجود الإنساني، فهو يطلب الحياة، لا حبا في لذة، ولكن لشدة حبه لتلك الحياة، وكرهه للفناء(٥٦) من اجل ذلك يقول طرفة مسوغا مذهبه:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد
أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفدِ(٥٧)

((تلك هي المأساة الشعرية التي يحاول الشاعر التغلب عليها بالانغماس في اللذة، لا هربا منها -كما نجد عند امرئ القيس- ولكن مواجهة صريحة لها، لان الموقف الوجودي عند طرفة واضح تمام الوضوح لا تلفه عقد الصراع بين الظاهر والباطن... ولذلك فانه يستعد - وهو بعد في سن الشباب- للقاء الموت في شجاعة حزينة، إذ يقول يوصي ابنة أخيه:

فإن مت فانعيني بما أنا أهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد
ولا تجعليني كامرئ ليس همه كهمي، ولا يغني غنائي ومشهدي
لعمرك ما أمري علي بغمة نهاري ولا ليل علي بسرمد

فهو يطلب... ألا تسوي بينه وبين رجل ليس همه طلب المعالي مثل هم الشاعر، ولا يكفي في الملمات كفايته، فلا يشهد الواقع مثله؛ وهو في كل ذلك واضح الغاية بين الهدف، فلا تغمه النوائب (ما أمري علي بغمة، ولا يطول ليله. كما طال ليل امرئ القيس -قلقاً وحيرة وترداداً))(٥٨).

لقد نظر طرفة إلى الحياة، وكأنها الفرصة الوحيدة لتحقيق وجود الإنسان، فهو لذلك، لن يمنع نفسه الصادية من العزف من كل مناهلها وينابيعها، بينما قد يعجز الآخر عن ذلك، ويقضي عمره صادياً محروماً.

كريمٌ يروي نفسه في حياته ستعلم ان متنا غداً أينا الصدي(٥٩)

يقول احد النقاد ان ((الرؤية عند طرفة تنطلق من رؤيته الذاتية التي بناها على تأمله للسكون والحياة، فجعل من قناعته بنقص العيش مبرراً لما يدعو إليه من سلوك لاه، ولما يدعو إليه من إغراق في الملذات، ان طرفة نموذج لكثير من

الشعراء الذين يطلبون اللذة حبا في الحياة أو يغرقون في طلب اللذة هربا من شقاء هذه الحياة، سواء أكان شقاء وجوديا أم شقاء واقعيا))[٦٠] ويقول ناقد آخر ان طرفة بنى أحكامه على الخلود والفناء معا، فالإنسان له ميتة على كل حال، فلا خلود في الدنيا، فيجب ان يبادر الفتى بماله وملذاته[٦١]. فكانت آراؤه ((ثمرة تأمل بعيد المرامي))[٦٢] فقد فكر في طريق السعادة فوجدها وهمية وحياة تنتهي بلا شيء، فاعتنق مذاهبه الثلاثة:

فلولا ثلاث هن من لذة الفتى وجدك لم احفل متى قام عودي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكري، إذا نادى المضاف، محنبا كسيد الغضا، نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن، والدجن معجب ببهكنة تحت الخباء المعمد[٦٣]

وان حاول الإنسان ان يتناسى موته فكل شيء حوله يذكره به، فحركة الزمن تقربه من الموت، وكذلك موت الآخرين يقول طرفة:

صباح الفتى ينعى إليه شبابه وما زال ينعاه إليه مساؤه
ويبكي على الموت ويترك نفسه ويزعم ان قد قل عنهم عناؤه[٦٤]

وهنا تبدو نزعة الشاعر واضحة تلك النزعة التي جعلته يهرع إلى التشبث بالحياة والبقاء المحسوس، ((فالانسان لا يموت دون ان يصدر حكما على حياته، بل دون ان يكون قد وضع وجوده موضع التساؤل... وكأن وجوده نفسه مهمة لابد له وللآخرين من الحكم عليها، وفقا لمعايير خاصة))[٦٥].

ويبدو ان طرفة قد شهد موته في حياته، وهذا ربما كان مذهب فلسفي، لكن كثرة تأمل الشاعر في الموت يستدعينا ان نستكثر على شاعر في العشرين – او دونها- من استحضار صورة الموت بهذه الكثافة في شعره، ولكن يبدو ان الموت كان رمز الاغتراب عنده؟ وحين ادرك انه بعيداً عنه راح يؤكد وجوده بقناعة، يقول:-

ولـــئن بنيـــت إلى المشـــقر في هضـــب تقصـــر دونـــه العصـــم
لتـــــنقبن عـــــني المنيـــــة إ ن الله لـــيس لحكمـــه حكـــم[٦٦]

ينبغي ان نعلم ان طرفة حين كان يعالج صورة الموت وحتميته لم يكن يتحدث عن وحش رهيب قادم، كما هو حال الجاهليين انه كان يتحدث عن حبيب قريب إلى النفس أو منقذ سينتشله من اغترابه المرير وواقع انتمائه الظالم إلى عالم لا يحس فيه بقهر أو ظلم:

إذا جـــاء مالابـــد منـــه فمرحبـــاً به حين يأتي لا كذاب ولا علل[٦٧]

فهل كان شاعرنا فيلسوفا على صغر سنه بنظرته إلى الحياة والموت والوفاء للآخر حتى يعده حبيباً ويخاطبه كأنه شخص قريب؟ ربما كان إحساسه بأنه سيلاقيه قريبا فقدحت تلك الفكرة في باله وهي ان الموت كان دافعه الحقيقي وراء كل ما يقوم به ليتجاوز صعابه ويبني ذاته ويحي أفكاره لتبقى بعده، فكان هو سبب إبداعه((هذا الإبداع الفني الذي يمكن ان يكون عموما، تخارجا جماليا للذات وللوعي دافعه الوفاء للموت... فالموت الجمالي يعني التغلب على الانقطاع بان يحول الوعي ذاته بوصفه وجوداً للموت إلى خطاب وحوار يبدأ من الموت نفسه، ولكن لا ينتهي أبدا لأنه سيحيى فيه -في الموت- وفي مطلقيته وحضوره الكلي. وهذا التحول يعني ان تصبح الذات وجوداً للحياة التي ليست سوى مجال حركي لتحقيق الإمكان))[٦٨] فلطرفة قدرة فنية عالية على تصوير الموت وتجسيمه إدراك منه لحقيقته وإيمانا منه به[٦٩]، فهو يرى ان الموت موجود وله وجود كلي فهو يطوق الحياة ويشدها إليه بحبال تطول أو تقتصر يمسكها بيده وهو قادر في أي لحظة ان يشدها فيسقط السقطة الأخيرة.

لعمـرك ان المـوت مـا أخطـأ الفتـى لكـا لطـول المرخـى وثنيـاه باليـد[٧٠]

ان اعترافات طرفة بجوهر فكرة الموت تؤدي إلى حياة من اجل الموت، فعمق رؤيته جعلت ذاته تستحضر موتها وتحياه، فبدلاً من انتظار لحظة الموت

تلعب ذاته دورها وتستحضر وجودها ((فالاقتران بين الذات والموت اقتران بين الحياة وتصرمها واختصارها، ومن الحق عندئذ ما دام الموت قدرا يقدم في أي لحظة شاء ان يبادر الإنسان بإهلاك حياته فيما يحبه))[٧١] وتلك هي النظرة الابيقورية[٧٢]

ألا ايهــذا اللائمــي احضــر الــوغى وان اشهد اللذات، هل أنت مخلدي
فــان كنــت لا تســتطيع دفــع منــيتي فــدعني أبادرهــا بمــا ملكــت يــدي

((ان المبادرة هنا تعني كسر الحدود التي تقيمها جبرية الموت على الذات الإنسانية في قضاء الدهر وإحضار حياتها في الموت، فكأنها بذلك تستبدل كلية الحياة التي تحملها وتستلبه وجوده))[٧٣].

وهكذا يشعر الشاعر بقرب نهايته، ينتهي بنوع من الإشراق الداخلي الغريب الذي يعرفه بعض عباقرة الألم والإبداع في بذرة من وجودهم، فكأن طرفة لم يكن يرى من نهاية مناسبة لحياته الحافلة إلا الموت، بل القتل لأنه اختار حرية المعاناة، فنحن نرى ان هناك نوعا من الحوار المر داخل وعي الشاعر بمواجهته للموت، حتى في تلك اللحظة يحاول التمرد وعدم الإذعان وتخطي المستحيل كان الموت مخلص طرفة من إحساسه باختلال معادلة وجوده فهو حلم خلاصة الوحيد، فقد خسر حتى الإحساس بعمق مأساوية الموت، قالت أخته ترثيه:

عــددنا لــه ســتا وعشــرين حجــة فلمــا توفاهــا اســتوى ســيدا ضــخماَ
فجعنــا لــه لمــا رجونــا إيابــه على خير حال لا وليداً ولا قمحا[٧٤]

قال بطرس البستاني ان ((قوة الشعور عنده تكاد تجعلنا لا نشعر بسذاجة الآراء التي يبنيها على الموت والحياة، لأنه لم يقف فيها موقف الخطيب الواعظ، أو الرجل الحكيم المصلح، بل جاء بها مندفعا عن نفسه، يحسها كأنها بعض روحه بما فيها من تدافع الحزن والألم وعزة النفس والأنفة، وحباها بكل ما في الشباب من نشاط وحياة، وزادتها جمالاً بساطة التعبير عن خوالج

النفس دون أي تكلف وفطرة صريحة يحلو بها الشعر الجاهلي ويستقل بنفسه عن الأدب العربي))

وتبقى ملامح تفرد طرفة واغترابه ثم موته في ثنايا قصائده وبدلالاتها العميقة في ان يكون أو لا يكون فقد كانت تلك معضلته التي خلفت قلقاً وألماً موجعاً في شعره الذي سيبقى مجالا للتأمل في تلك النفس وذلك التفكير الذي قل ما يضاهيه عند شاعر جاهلي لم يعرف الحياة أكثر من ست وعشرين سنة عاش فيها معاناة من نمط فريد.

وفيما يبدو ان نفسية طرفة لم تعرف الاطمئنان والهدوء فتبعثرت بين بواعث القلق والشقاء ترفض التقليد وتحاول التفرد، فصار طرفة رمز الإنسان الهارب من واقعه وذاته ومصيره(٧٥).

الخاتمة:

تناول البحث أهم ألاراء النقدية في شعر طرفة بن العبد في القديم والحديث،واستطعت بعد مناقشتها في البحث التوصل إلى النتائج النهائية..كما وكشفت هذه الدراسة بما اختطت من منهج عن خصائص الشاعر الفنية ، ودراسة تحليلية لشعرشاعر عد من الفحول تناولت شخصيتهُ فنه ، وكانت النتائج التي توصل إليها البحث على النحو الآتي:

أن حصول طرفة على مكانة متميزة بين شعراء عصرهِ لم يكن عبثاً بل لتميزه بشاعرية قل مثيلها لكثرة مسبباتها من الظروف البيئية التي غذت خيالهُ وأثارت عاطفتهُ وأسرته اسلشاعره ويُتمه الذي كان سببا قويا لتأجيج عاطفتهِ واحتوائها الملكة القوية الحادة ، وثروتهِ الفنية والفكرية الواسعة التي حصل عليها من تنقلاتهِ في أرجاء البلاد العربية فصُقِلَت أفكاره وآراءهُ ، ثم ما لحق ذلك من خصومات عاشها الشاعر بين قومهِ وخصومهم وبين الشاعر والمحيطين به . ويُضاف إلى ذلك ما فُطر عليه الشاعر من حدة الذهن واضطرام

الشعور وثوران العاطفة ، فأكد النقاد أن لكل ما سبق أثرا في منزلته الشعرية وصدق عواطفه التي عكسها في شعرهِ بواقع فني مثير للفكر فكان صادق في معانيه يلتمس الحقيقة وهذا بدورهِ ما جعله يميل ربما بدون أن يعلم إلى الطبع في شعرهِ لكنه لم يعدم الصنعة اللطيفة.

كشف لنا البحث عن حُسن أسلوبه ومتانتهُ بإيراد المعنى إلى النفس من اقرب الطرق فكان يميل إلى فن الخواطر والحكم وإبداء آراءه الشخصية التي يُكثر فيها من النعوت والألفاظ الحسية المستمدة من الواقع المادي ، فلاحظنا أن أسلوب طرفة امتاز بالسرد والتقرير والتصنيف والتفصيل.

كان شعر طرفة نتاج مرحلة متأخرة من الشعر الجاهلي ،بعد أن استقرت فيه القصيدة الجاهلية معنى ومبنى فتجلى خياله الشعري في تشبيهاته واستعاراته وفنونه الأخرى وما تحتويها من معاني عبرت عن تماسك وقوة وجزالة فنالت استحسان النقاد ، وبقيت عالقة في الأذهان محافظة على نمطها الموروث للقصيدة الجاهلية.

شغل شعر طرفة النقاد المحدثين كما شغل من قبل النقاد القدامى فلم تختلف الآراء بين الاثنين بل زادت عمقاً وتفصيلاً ، فدرسوا في شعرهِ قضايا فنية وأخرى كان لها أثر في تلك القضايا ، فتوصل البحث إلى أن طرفة هذهِ الشخصية الفذة الجريئة عُدت ظاهرة مميزة في الشعر العربي وفي الحياة العربية..كذلك في رؤياه للمصير والمجتمع وإحساسهِ بمجرى القدر واغرب ما فيه أنه كان جريئا في حُبهِ للموت ، فكانت فلسفتهُ حية لاتخلو من رفعة خلقت لديهِ مضامين سلوكية عالية القيمة تأتت من عمق تجربة الشاعر التي تركت أثارها في حكمهِ العميقة على شعرهِ ، ولذلك كانت له صور ذات قدرة هائلة على الإيحاء تعكس إمكانياتهُ في التعبير عن أفكاره ومشاعره.

تأثرت الأغراض الشعرية التي نظم فيها طرفة بطبيعية الحياة والظروف الاجتماعية التي عاشها فكان مغتربا ، انتمائه الفعلي قليل، مع أنه تحلى بحب قومه والدفاع عنهم والفخر بهم ،فقد شَعر بحسب قومه ومجدهم بين العرب وهذا ماقوى رابط الانتماء لديه . كما ولاحظنا قلة المديح في شعرهِ وربما عادت هذهِ الظاهرة الى اعتزازهِ بنفسهِ وعدم حبه للتذلل.

والظاهرة الثانية: هي نزعته الانسانية العميقة التي تدل على صدق النظر وقوة الفراسة وحدة الفكر التي تمثلت بظهور أنماط من الحكمة والتي كانت مبكرة على طرفة الشاب فكست تفكيرهُ بألوان الحياة رغم صغر سنه ، وكذلك غزلهُ العفيف رغم عيشه حياة لاهية ، وهجاءه غير الفاحش وبُعدهُ عن القذع ،إذ غالبا مالجأ إلى التهديد والوعيد فيه لاغير.

توصل البحث إلى أنه سبق إلى كثير من أبكار المعاني وحفظ له تاريخ الأدب هذا السبق ، فقرن اسمهُ بتلك المبتكرات التي سبق إليها وأخذها الشعراء عنه.

رؤيتهُ العميقة إلى كل ماهو صغير في الوجود فيجعل منه قضية كونية كالحياة والموت .. فهو شاعر البيئة العربية بجبالها وسهولها وما أنطلق في أرجائها من خيل وابل وما كانت تذخر به الحياة العربية من عادات وتقاليد في السلم والحرب وهو شاعر الطبع الأصيل والوجدان الصادق والموهبة التصويرية.

انه أجدر شعراء الجاهلية بلقب شاعر عالمي .. إذ أن الألم كان دافعا لموهبته.

وفي الختام نأمل أن قد نالنا حظ من التوفيق في بحثنا هذا من خلال عرض ماقدمه الشاعر من صياغته لرؤية متميزة تفردت بخصوصياتها وتقديمها لشاعر شغل النقاد قدامى ومحدثين فتناولوه وشعره وفرادته الفنية بالدراسة والبحث والاستقصاء.

Abstract

The research has tackled the most important critical opinions about the poetry of Turfa Bin Al-Abd and after discussing them, we were able to reach the final results. This study was also successful in revealing the most prominent artistic features of the poet. The results that were reached were as follows:

The importance and status that he gained among the poets of his time was not for nothing but for his unique poeticism which was revived by the circumstances that he lived which fed his imagination and aroused his emotions specially because he was an orphan the main reason for being so compassionate. Adding to that the conflicts which the poet lived during his life that were between his people and their opponents.

The poet showed his ability through using the terms that were the nearest to the heart by giving his own opinions in which he used the sense verbs a lot taken from the real life.

His poetry belongs to the late pre-Islamic era were this type of poetry reached a stable refine state reflected in his structures, poetic imagination and simile which was admired by all critics.

The poetry of Turfa drew the attention of the modern critics as well as the ancient ones and both had the same opinion of his works. The research reached that the poet has a prominent genius personality which is regarded as a phenomena in the Arab poetry.

The poetic purposes that the poet used were affected by the type of life and social circumstances that the Arabs lived and he felt as a stranger although he loved his people and was proud of them and wrote about them many poems of pride.

He has a profound look to every simple item making it a critical matter as death and life. He was considered as the poet of the Arab area with all its mountains, plains, horses, camels and all it traditions during peace and war.

He deserves to be called as a world poet were the pain was his greatest motive for writing.

Finally, we hope that we were successful in our research and revealing the works presented by the poet which was unique and special. That was the reason why many critics of the modern and the ancient times were eager to study his poetry.

قائمة المصادر والمراجع

(١) ظ: الشعر والشعراء: ١١٨، عيون الأخبار: ٢٠٧/١، الاشتقاق:٣٥٧
معجم الشعراء: ٢٢، خاص الخاص: ١٤٤، المنتحل: ٣٢٨
الاختصاص: ٤١٩، شرح أبيات مغني اللبيب: ٤٠٨، معاهد التنصيص: ٣٦٤١.
(٢) ظ: شرح شواهد المغني: ٨٠٥.
(٣) ظ: الشعر والشعراء: ١١٨، الفاخر: ٧٥، المنتحل: ٣٢٨
التذكرة الحمدونية: ٣٩٠، معاهد التنصيص: ٣٦٥، خزانة الأدب: ٤١٩
(٤) الفاخر: ٧٤-٧٥، ديوان المتلمس: ٤١، خزانة الأدب:٤١٩ دراسات في الأدب الجاهلي، نبوي:١٨٨/١.
(٥) ظ: الشعر والشعراء: ١١٨، التذكرة الحمدونية: ٣٩٠.
(٦) تاريخ الأدب العربي، برد كلمان: ٩٢/١، تاريخ الأدب العربي، فروخ: ١٣٦/١.
(٧) ظ: الشعر والشعراء: ١٢٠/١، معاهد التنصيص: ٣٦٤.
(٨) ظ: معجم الشعراء:٢٢، المنتحل: ٣٢٨، خاص الخاص: ٢٢، ١٤٤،
ديوان المتلمس: ٤٢، تاريخ أدب اللغة العربية، زيدان:١١٢
(٩) ظ: خزانة الأدب.
(١٠) ظ: الشعر والشعراء: ١٢١/١، معاهد التنصيص: ٣٦٥.
(١١) ظ: الشعر والشعراء: ١٢١، التذكرة الحمدونية: ٣٩٢، تاريخ أداب اللغة العربية، زيدان: ١١٢.
(١٢) ظ: المنتحل:٣٢٩، خزانة الأدب: ٤٢٢.
(١٣) ظ: طرفة ولبيد، البستاني: ٢٠٩، تاريخ أداب العربية، زيدان:١١٣
الجامع في تاريخ الأدب العربي: ٢٣١، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان:٩٣
دراسات في الأدب الجاهلي، نبوي:٥٨.
(١٤) موسوعة الشعر العربي: ٣٨٥/٢.
(١٥) ظ: دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي: ٢٧٧.

(١٦) الشعر الجاهلي: كريم الوائلي: ٩٢.
(١٧) ظ: قراءة ثانية لشعرنا القديم: ١٦٦-١٧٠.
(١٨) دراسات في الأدب العربي، نبوي: ١٨٧.
(١٩ ديوانه: ٣٦.
(٢٠) الجامع في تاريخ الأدب العربي ج١: ٢٣٣، ديوانه: ١٠٢.
(٢١) ظ: أمثال العرب، المفضل الضبي: ١٧٤.
(٢٢) ديوانه: ٢٧-٢٨.
(٢٣) م.ن : ٣٧-٣٨.
(٢٤) ظ: دراسات في الأدب الجاهلي، نبوي: ١٨٨.
(٢٥) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، العشماوي: ١٨١.
(٢٦ م.ن: ١٨١، ديوانه: ٢٣.
(٢٧) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث: ١٨٢.
(٢٨) دراسات نقدية في الأدب العربي: محمود عبد الله الجادر: ١٦٧.
(٢٩) الحياة والموت في الشعر الجاهلي: مصطفى جياووك: ٢٦٣.
(٣٠) دراسات نقدية في الأدب العربي: الجادر: ١٦٧.
(٣١) ظ: م.ن: ١٦٧.
(٣٢) تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٦٤/١.
(٣٣) ديوانه: ٣٣
(٣٤) نفسه: ٣٥.
(٣٥) ديوانه: ٦٤، م.ن: ٣٦.
(٣٦) الشعر الجاهلي، الوائلي: ٧٩.
(٣٧) م.ن: ٧٨.
(٣٨) تاريخ اللغة والآداب العربية، شارل بلا: ٩٥.
(٣٩) ظ: م.ن (الهامش): ٩٥.
(٤٠) ظ: الشعر الجاهلي قضايا وظواهره الفنية: ٧٨.
(٤١) م.ن: ٧٨.
(٤٢) ديوانه: ١٠٥.
(٤٣) ظ: شرح القصائد السبع، الانباري: ١٤١، ظ: شرح القصائد العشر، التبريزي: ١٠٠.

(٤٤)ظ: ديوانه: ٧٧.
(٤٥) م.ن: ٧٧.
(٤٦) م.ن: ٨١.
(٤٧) ديوانه: ٥٥.

(٤٨) الظلمان: ذكر النعام.
(٤٩) ظ: ديوانه: ٥٥.
(٥٠) م.ن: ٥٥-٥٦.
(٥١) قراءة ثانية لشعرنا القديم: ١٧١.
(٥٢) أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، البستاني: ١٣٢.
(٥٣) م.ن: ١٢٣.
(٥٤) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية: ٩٣.
(٥٥) في النقد والأدب، إيليا الحاوي: ٥٧.
(٥٦) ظ: دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي، عفت الشرقاوي: ٢٨٩
ظ: دراسات نقدية في الأدب العربي، الجادر: ٢٣٧.
(٥٧) ديوانه: ٣١-٣٢.
(٥٨) دروس ونصوص في القضايا الأدب الجاهلي: ٢٨٩، ظ، ديوانه: ٤١.
(٥٩) ديوانه: ٣٠.
(٦٠) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص: حسنى عبد الجليل يوسف: ٣٩٠.
(٦١) ظ: أدباء العرب: ١٧٤.
(٦٢) الجامع في تاريخ الأدب العربي: ٢٣٤.
(٦٣) ديوانه: ٢٩.
(٦٤) م.ن: ١٣٣.
(٦٥) مشكلة الحياة، زكريا إبراهيم: ٢٣٥.
(٦٦) ديوانه: ١٥٩.
(٦٧) م.ن : ٨٩.
(٦٨) جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال،هلال جهاد: ٣١٥.
(٦٩) ظ: قضايا النقد الأدبي، العشماوي: ١٣٨.

(٧٠) ديوانه: ٣٢.

(٧١) قراءة جديدة لشعرنا القديم: ٢٩.

(٧٢) ظ: م.ن: ٢٩.

(٧٣) جماليات الشعر العربي دراسة في فلسفة الجمال: ٣١٧.

(٧٤) أشعار النساء: المرزباني: ١٧٠.

(٧٥) ظ: تاريخ الأدب العربي، الحسيني: ١٧٤ ، دراسات في الأدب الجاهلي، نبوي: ١٨٩.